Journal of Applied Arts & Sciences
مجلة الفنون والعلوم التطبيقية
جامعة دمياط Damietta University
كلية الفنون التطبيقية

# وفاء النذور كأحد الدوافع الدينية للعمارة والتصميم الداخلي في العصر المملوكي

# Fulfillment of vows as one of the religious motives for architecture and interior design in the Mumluk era

**إسلام سامي علي**
باحثة ماجستير- كلية الفنون التطبيقية – جامعة دمياط

**أ.د/ ياسر علي معبد فرغلي**
أستاذ نظريات التصميم الداخلي -بقسم التصميم الداخلى والأثاث - كلية الفنون التطبيقية - جامعة دمياط

**أ.م.د/ سارة فتحي أحمد فهمي**
أستاذ مساعد- بقسم التصميم الداخلي و الأثاث- كلية الفنون التطبيقية – جامعة دمياط

**ملخص البحث:**

يعد العصر المملوكي واحدًا من أزهي العصور في تاريخ العمارة الإسلامية في مصر، فبالرغم من تطور العمران الإسلامي في كل العصور إلا أن تطور العمارة الإسلامية في العصر المملوكي كان بمثابة علامة فارقة في هذا المجال، تشهد بذلك العمائر الباقية من هذا العصر والتي تنافس سلاطين وأمراء المماليك على إقامتها، وقد تنوعت أسباب وتباينت أغراض كل سلطان منهم في مباني عصره ما بين أهداف اجتماعية وإدارية وتعليمية ودينية وحربية وغيرها.

ومن هنا تكمن **مشكلة البحث** في التساؤل التالي: ما دور الوفاء بالنذور كأحد الدوافع لسلاطين المماليك لإقامة المنشآت المعمارية؟ ومن هنا **يهدف البحث** إلى تحديد دور الوفاء بالنذور كأحد الدوافع لسلاطين المماليك لإنشاء المنشآت المعمارية وإبراز أنواع ووظائف تلك المنشآت بشكل محدد وأثر ذلك في ملامح التصميم للمنشأة. وتقوم المحاور الرئيسية للبحث علي: أولاً: تصنيف وظيفي للمنشآت التي بنيت نتيجة للوفاء بالنذور. ثانياً: وصف وتحليل لتصنيف المكونات الوظيفية لكل منشأة طبقاً للهدف الوظيفي لإنشائها. ثالثاً: تحديد العصر الذي أقيم فيه المبني. رابعاً: مناقشة وتحليل عناصر التشكيل المعماري. خامساً: مناقشة وتحليل عناصر التشكيل الزخرفي. سادساً: مقارنة مدي اتفاق تلك العناصر مع ملامح هذا العصر. ولذلك تكمن **أهمية البحث** في دراسة وتحليل بعض المنشآت المملوكية لتحديد دوافع إنشائها، ورصد بعض المباني التي كان الوفاء بالنذر الدافع لبنائها، وذلك من خلال **المنهج التاريخي** للتعرف على الأصول التاريخية لبعض المباني المملوكية في مصر للوقوف على أسباب إقامتها، **والمنهج الوصفي التحليلي** لوصف وتحليل السمات الجمالية والقيم التشكيلية المميزة للعناصر المعمارية.

**كلمات مفتاحية**

النذور-Vows، العمارة المملوكية-Mamluk architecture، التصميم الداخلي-interior design

**مشكلة البحث**

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على التساؤل التالي:

١. ما دور الوفاء بالنذور كأحد الدوافع لسلاطين المماليك لإقامة المنشآت المعمارية؟

**فروض البحث**

تفترض الباحثة أن الوفاء بالنذور كانت أحد الأسباب الدافعة لسلاطين المماليك نحو الإنشاء والعمارة.



(ISSN ٢٥٣٧-١٠٦١)(Print)

(ISSN ٢٥٣٧-١٠٧X)(Online)

**أهداف البحث**

تحديد دور الوفاء بالنذور كأحد الدوافع لسلاطين المماليك لإنشاء المنشآت المعمارية وإبراز أنواع ووظائف تلك المنشآت بشكل محدد وأثر ذلك في ملامح التصميم للمنشأة.

**أهمية البحث**

تكمن أهمية البحث في تحديد الدوافع الدينية التي أنشئت عليها بعض المباني المملوكية، ورصد دور الوفاء بالنذر كأحد تلك الدوافع، للوصول لفهم أعمق وصورة أشمل لتلك المؤسسات وأسباب إقامتها.

**حدود البحث**

يتناول البحث بالدراسة والتحليل بعض مباني العصر المملوكي في مصر في الفترة من ١٢٥٠: ١٥١٧م.

**منهجية البحث**

المنهج التاريخي: للتعرف على الأصول التاريخية لبعض المباني المملوكية في مصر للوقوف على أسباب إنشائها.

المنهج الوصفي التحليلي: لوصف وتحليل السمات الجمالية والقيم التشكيلية المميزة للعناصر المعمارية.

**محاور البحث**

أولاً: تصنيف وظيفي للمنشآت التي بنيت نتيجة للوفاء بالنذور.

ثانياً: وصف وتحليل لتصنيف المكونات الوظيفية لكل منشأة طبقاً للهدف الوظيفي لإنشائها.

ثالثاً: تحديد العصر الذي اقيم فيه المبني.

رابعاً: مناقشة وتحليل عناصر التشكيل المعماري.

خامساً: مناقشة وتحليل عناصر التشكيل الزخرفي.

سادساً: مقارنة مدي اتفاق تلك العناصر مع ملامح هذا العصر.

**المقدمة**

يقول جمال الغيطاني في كتاب استعادة المسافر خانة: "لولا المعمار لاندثرت الأفكار والصياغات المؤدية إلى تجسيد النظرة التي كان يتطلع من خلالها القوم إلى الواقع اليومي"، فالعمارة واحدة من أكثر الفنون، وأقواها تأثيرًا في التاريخ، وذلك لأننا قد نختلف أحيانًا حول المصدر الجغرافي أو الحقبة التاريخية لبعض المقتنيات الفنية المنقولة من زجاج أو خزف أو سجاد وخلافه، أما العمائر فهي رابضة لا تتحرك كشاهد ودليل على عصرها. ولذلك فقد اهتم الملوك منذ فجر التاريخ في الحضارة المصرية القديمة وحتى يومنا هذا بتخليد ذكراهم من خلال منشآت معمارية فخمة، ولم يكن المماليك استثناءً في هذا،[١(مرجع:٢٦، ص:١٢)] حيث أن العمارة المملوكية واحدة من أفضل عصور العمارة الإسلامية على مر الزمان، فقد اهتم سلاطين المماليك اهتمامًا بالغًا بالعمارة سواءً بإقامة منشآت جديدة أو بترميم واصلاح منشآت العصور والحكام السابقين،[٢(مرجع:٢١، ص:١١٠)] وقد تنوعت أسباب وتباينت أغراض كل سلطان منهم في مباني عصره ما بين أهداف اجتماعية وإدارية وتعليمية وغيرها.

**١/١- نشأة المماليك وتعليمهم الديني**

المماليك هم جماعة من العبيد التركمان استطاعوا أن يحكموا مصر والشام زهاء قرنين ونصف من الزمان (١٢٥٠: ١٥١٧م).[٣(مرجع:١٠،ص:٢)] كان التجار يجلبون المماليك صبية صغار ثم يوضعوا في ثكنات خاصة (طباق) كانت تلقى عناية السلاطين، وهناك يبدأ منهج التعليم المملوكي بتعلم القراءة والقرآن وآداب الشريعة، وبعد ذلك التدريبات العسكرية والفروسية، [٤(مرجع:٩،ص:٢٩:٣٢)] وقد حرص النظام على تدريب وتهذيب أفراده دينيًا وعسكريًا حتى أصبحوا مؤهلين للدفاع عن الدولة والدين، فكانوا ينشئون وهم معظمين لأمر الدين الإسلامي جدًا، لديهم خلفية واسعة عن الفقه الإسلامي، وتظل مكانة العلم والعلماء عالية جدًا عند المماليك طيلة حياتهم. [٥(مرجع:٢٢، ص:١٣)]

**٢- النذور في الإسلام**

النذر لغةً: هو ما يقدمه المرء لربه، أو يوجبه على نفسه من صدقة أو عبادة، (نَذَرَ) الشيء - نَذرًا، ونُذُوراً: أوجبه على نفسه.[٦(مرجع:١٣، ص:٩١٢)] والنذر هو أن يلزم المسلم المكلف نفسه طاعة لله تعالى لا تجب عليه شرعاً. والنذر عبادة قديمة يلجأ إليها الناس عندما تكون لديهم بعض الآمال التي يرغبون في تحقيقها أو بعض الصعوبات التي يتمنون زوالها، وقد ذكرها القرآن الكريم في عدة مواضع: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥]، وأُمرت به مريم: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ



(ISSN ٢٥٣٧-١٠٦١)(Print)

(ISSN ٢٥٣٧-١٠٧X)(Online)

أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]، وقال: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠]. وقال: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

وهذه الآيات تدل على مشروعية النذر في الإسلام، يدل على ذلك ما أخرجه الطبري بسند صحيح عن قتادة في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]. قال: كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة وما افترض عليهم، فسماهم الله تعالى أبراراً. والوفاء بالنذر واجب شرعًا، وترك الوفاء به محرم، إلا نذر المعصية، لقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه".[٧](مرجع: ٣٣)

**٣/١- النذور في العمارة المملوكية**

تنحصر دراسة العمارة غالبًا في ثلاث دوائر متشابكة ومؤثرة في بعضها البعض:

الدائرة الأولى: هي المادية العملية Utilitarian وهي التي تحدد استعمالات المنشأة Function وأنشطتها المختلفة من حيث كونها منشأ عام أو إداري أو سكني أو دور عبادة، أو لتقديم خدمات اجتماعية أو تعليمية وغيرها.

الدائرة الثانية: هي الشكل من حيث عملية التخطيط، واختيار العناصر المعمارية، لتحقيق الأغراض التي أقيمت من أجلها المنشأة.

الدائرة الثالثة: هي المكنون التعبيري وهي الرسالة التي يرغب المنشئ من إعلانها والتعبير عنها، وتلك الرسالة في الغالب تفصح عن الدور الذي يراه المنشئ لنفسه في هذه الحياة والصورة الذاتية التي يرغب في الإعلان عنها، والتي قد تكون روحية أي كرمز ديني، أو اجتماعي، أو سياسي، أو مادية كتعبير عن القوة، والغنى، والسلطة. والمكنون التعبيري في العمل المعماري قد يظهر بصورة مباشرة على شكل مادي كالضخامة والعلو والفخامة والإسراف في الزخارف المعقدة، أو بالنصوص الكتابية الواضحة. أو يظهر بشكل غير مباشر بغياب بعض أو جميع ما سبق ذكره للإعلان عن البساطة. وأخيرًا قد يظهر هذا المكنون بالرمز والإيحاء. وبالطبع فإنّ هذه الدوائر الثلاث محكومة بالقوانين والشرائع السائدة، وبالإمكانيات المادية والتقنية المتاحة في عصر الإنشاء.[٨](مرجع:٧، ص:٢٥)

ومن بين أهم دوافع سلاطين المماليك نحو الاهتمام بالعمارة كانت الدوافع والنوازع الدينية، وذلك بإقامة المساجد الجامعة لإقامة الصلوات والشعائر الإسلامية، وبناء الكتاتيب والمدارس وخزائن الكتب لتعليم وتفقيه المسلمين بأمور دينهم، وبناء المنشآت الخيرية من بيمارستانات لعلاج الناس، وأسبلة لسقاية المارة في الطرقات، وأحواض لسقاية الخيول والدواب، بغرض أن ينالوا الأجر والثواب من الله. وجاءت بعض المباني المملوكية وفاءً لنذور أصحابها وصدقًا لوعودهم مع الله، وربما بدون دون هذه النذور لم ليكن لهذه المباني وجود. ومن أمثلتها ما يلي:

**١/٣/١- بيمارستان المنصور قلاوون:**

كان المنصور قلاوون مولعًا بالعمارة ومن أبرز منشآته المعمارية: مجمع قلاوون بشارع المعز، (أثر:٤٣، ٦٨٣-٦٨٤هـ/١٢٨٣-١٢٨٥م)، وهي مجموعة تتكون من بيمارستان (مستشفى) وقبة جنائزية للدفن ملحق بها مئذنة ويجاورها مدرسة يفصلها الممر المؤدّي إلى البيمارستان خلف القبة والمدرسة وسبيل، وقد أقيم المارستان في محل قاعة ست الملك المعروفة بالدار القطبية، وقد أبقيت القاعة على حالها وعملها بيمارستانًا، وهي ذات إيوانات أربعة بكل إيوان، وبها فسقية يصير إليها الماء، وقد اندثر البيمارستان حاليًا.[٩](مرجع:٧، ص:٢٧)

وقد أفاض المؤرخون والرحالة في الإشادة بمحاسن البيمارستان المنصوري، فيصفه ابن بطوطة: "وأما المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه، وقد أعد فيه من المرافق والأدوية ما لا يحصى، ويذكر أن مجباه ألف دينار كل يوم".[١٠](مرجع:١٦،ص:٥٥) وذكر المؤرخ المغربي البلوي: "أنه لو لم يكن للقاهرة ما تذكر به إلا البيمارستان وحده لكفاها، وهو قصر عظيم من القصور الرائعة حُسنًا وجمالًا واتساعًا، لم يعهد مثله بقطر من الأقطار أحسن بناء ولا أبدع إنشاء ولا أكمل انتهاء في الحسن والجمال"، وذكر الحسن بن محمد الوزان (ليو الإفريقي): "أنه بيمارستان كبير له دخل يبلغ مائتي ألف دينار أشرفي، وهو مفتوح للجميع يجد فيه المريض كل التسهيلات والعلاجات الطبية وجميع ما يحتاج إليه حتى الشفاء.[١١](مرجع:٢٠،ص:٨٨:٨٧)

صورة (١) لوحة بيمارستان قلاوون للفنان الفرنسي أدريان دوزاتس- المصدر: (مرجع: ٣١)

**١/٣/١-١- سبب بناء البيمارستان:**

وقد ذكر المقريزي: "كان سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير إلى غزو الروم في أيام الظاهر بيبرس أصابه بدمشق مرض عظيم، فعالجه الأطباء بأدوية أخذت من البيمارستان النوري، فبرأ وركب حتى شاهد البيمارستان فأعجب به ونذر إن آتاه الله الملك أن يبني بيمارستانًا يوقفه لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء المثرين والفقراء، فلما تسلطن أخذ في عمل ذلك."[١٢](مرجع:١٦، ص:٦٠) وعندما اكتملت عمارة المجموعة ركب السلطان وشاهدها وجلس بالبيمارستان وقال: "قد وقفت هذا على مثلي ومن دوني".

أما عن الدلالة التعبيرية للمجموعة من الناحية الاجتماعية والعلمية والسياسية فيبدو من دراسة الوقفية الخاصة بها أن البيمارستان كان هو محل الاهتمام الأول للمنصور، فقد أوقف عليه الجزء الأكبر من موارد أملاك الوقف، والتي قدرها المقريزي بحوالي مليون درهم سنويًا، في حين أن المدرسة خصص لها مبلغًا ضئيلاً لا يكاد يكفيها، وهذا يشير إلى تضاؤل الدافع الديني لدي المنصور مقارنةً بدوافعه واهتماماته الاجتماعية والسياسية لاكتساب الشعبية وتدعيم شرعية الحكم.

أخيرًا هناك دلالات سياسية للظروف التي أنشئت بها المجموعة منها مثلاً بناء المنصور لتربة يُدفن بها في أعظم شوارع القاهرة، وهو أول من شعر أن من حقه هذا التكريم (قبة ضريح الصالح بنيت بعد وفاته بواسطة أرملته شجرة الدر) وسلفه بيبرس رفض أن يُدفن أي من منشآته الدينية وجعلها خالصة لوجه الله.[١٣](مرجع:٧، ص:١٧٢:١٧٤)

**١/٣/١-٢- وصف البيمارستان:**

انقسم البيمارستان إلى قسمين للرجال والنساء، وعين به أطباء متخصصون في كافة فروع الطب، الطبائعية (الأمراض الباطنية) والكحالين (أمراض العيون) والجرائحية (الجراحون) والمجبرين (لعلاج العظام والكسور)، والنفسية لعلاج الأمراض العقلية والنفسية.[١٤](مرجع:١٩، ص:١٣١) وهُيأت أماكن لإقامة النزلاء بها فراش كامل نظيف، مخصص لكل فرد به مياه جارية وأماكن أخرى للطبخ، وإعداد الأطعمة الصحية، وألحق به دواء خانة (صيدلية) لصرف الأدوية والأشربة والمراهم وغيرها من العقاقير. فكان النزيل يتلقى العلاج والطعام والكسوة والإقامة مجانًا، بصرف النظر عن سنه أو جنسه، أو حالته الاجتماعية، أو المالية سواءً كان من القاهرة أو خارجها، وجُعل



(ISSN ٢٥٣٧-١٠٦١)(Print)

(ISSN ٢٥٣٧-١٠٧X)(Online)

لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ومن مات جهزه، وكفن ودفن، وألحق بالبيمارستان عيادة خارجية لعلاج وصرف الأدوية لغير النزلاء.

وبالإضافة إلى العلاج فإنّ البيمارستان كان أيضًا مدرسة للطب يقوم بالتدريس به كبير الأطباء وغيره من الأطباء المتخصصين في البيمارستان نفسه، أو في المدرسة الملحقة به، وألحق بالبيمارستان مكتبة بها كتب في الطب وسائر علوم المعرفة الأخرى. وبالطبع استتبع هذا وجود جهاز إداري كبير؛ لضبط الأمور المالية والتنظيمية وأعمال الصيانة.

شكل (١) مسقط أفقي لبيمارستان قلاوون- المصدر: مرجع:١٦، ص: ٦٠.

**٢/٣/١- إصلاحات المنصور لاچين في جامع ابن طولون:**

الجامع الطولوني هو ثالث المساجد الجامعة في مصر بعد جامعي عمرو والعسكر، بناه أحمد بن طولون على جبل يشكر بين عامي ٢٦٣-٢٦٥هـ/٨٧٦-٨٧٩م، في الجهة الجنوبية من القاهرة بينها وبين الفسطاط. وهو مسجد كبير يشغل مساحة قدرها ٦,٥ فدان بدون الزيادات، ويتألف من صحن مربع طول ضلعه ٩٢م، وتحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة، ويوجد بإيوان القبلة خمسة محاريب غير مجوفة بخلاف المحراب الرئيسي المجوف الذي يتوسط جدار القبلة.[١٥](مرجع:١٥، ص:١١٨:١٢٠)

**١-٢/٣/١- المنصور حسام الدين لاچين:**

قال المقريزي: لما قتل "الأشرف خليل" في سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وكان ممن وافق "الأمير بيدرا" قاتله "الأمير حسام الدين لاچين المنصوري" "والأمير قراسنقر"، فلما قتل بيدرا في محاربة مماليك الأشرف فر لاچين واختفي بالجامع الطولوني وهو حينئذٍ خرابٌ لا ساكن فيه، وأعطي الله عهدًا إنْ سلمه من هذه المحنة ومكنه من الأرض أن يجدد عمارة الجامع ويجعل له ما يقوم به، فلما تسلطن في المحرم ٦٩٦هـ/١٢٩٦م أمر الأمير سنجر الدواداري بشراء الأوقاف علي الجامع الطولوني، وصرف إليه كل ما يحتاجه في العمارة، وأكد عليه ألا يسخر فيه فاعلًا ولا صانعًا وألا يقيم مستحثًّا للصناع، ولا يشتري لعمارته شيئًا إلا بالقيمة التامة، وأن يكون ما ينفق علي ذلك من ماله، فاشتري ساحة خربة بجوار الجامع وضمها إليه، وعمر الجامع وأزال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه، كما رتب فيه دروسًا للفقه على المذاهب الأربعة، ودروسًا لتفسير القرآن الكريم، ودرسًا للحديث ودرسًا للطب. وجعل له إمامًا وخطيبًا ومؤذنين وفراشين وخدمة، وعمل بجواره كتابًا لأيتام المسلمين. وبلغت النفقة على عمارة الجامع وثمن مشتملاته عشرين ألف دينار.[١٦](مرجع:١٥، ص:٦٥:٦٧)

**٢-٢/٣/١- اضافات لاچين بالجامع الطولوني:**

**أ-٢-٢/٣/١: المحاريب:** قام لاچين بتجديد المحراب الأصلي المجوف، وأحاطه بنطاق من



(ISSN ٢٥٣٧-١٠٦١)(Print)

(ISSN ٢٥٣٧-١٠٧X)(Online)

الفسيفساء المذهبة، وتتكون من فصوص من الزجاج على شكل الزهور الملتفة والأوراق ومكتوب فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله بمادة سوداء رقيقة كالزجاج، وهذه الفسيفساء نادرة جدًا بالقاهرة ولا يعرف منها غير ثلاثة نماذج صغيرة في المحاريب: بهذه القبلة، وفى مدرسة قلاون، وفى مدرسة أقبغا بالأزهر.

وكذلك قام بإضافة محراب جديد غير مجوف -إلي يسار محراب الخليفة الفاطمي المستنصر الغير مجوف أيضًا- مكتوب عليه اسمه وألقابه بالخط الكوفي المشجر: "... هذا المحراب المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاچين سلطان الإسلام"، وكان هذا الخط شائعًا في العصر الفاطمي، وكان آخر استعمال له بجامع الصالح طلائع، وبعد زوال الدولة الفاطمية زال معها الكتابات التاريخية بهذا الخط، ويعتقد أن استعماله هنا كان الغرض منه المطابقة بين هذا المحراب ومحراب المستنصر، حيث أن كتابات لاچين الأخرى بالجامع عُملت بخط النسخ المملوكي.[١٧](مرجع:١٥،ص:٤٨)

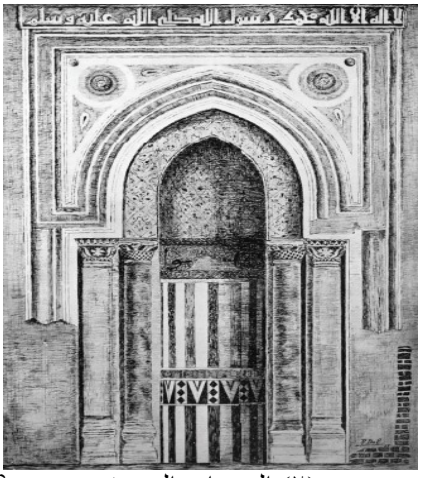

صورة (٢) المحراب المجوف- مرجع:[١٥]، ص:١٠٥

صورة (٣) المحراب الغير مجوف- مرجع:١٥، ص: ١٠٦

**٢/٣/١-٢-ب: قبة المحراب:** قبة صغيرة من الخشب يرجح كريسول أنها ترجع لعهد لاچين، أو على الأقل الجزء السفلي منها، حيث أن مقرنصاتها تشبه مقرنصات قبة خانقاة سلار وسنجر الجاولي.

شكل (٢) مقرنصات قبة المحراب من مجموعة المستشرق الفرنسي بريس دافين- مرجع:[٢٦]، ص:١٥

**٢/٣/١-٢-ج: المئذنة:** تقع المنارة في الرواق الخارجي الغربي علي بعد ٥,٣٦ متر وراء جدار المسجد الخارجي، وتسعة أمتار شمالًا من محوره، وقد أضاف لها لاچين قنطرة تربط بين الجزء البحري من بنائها وبين جدار المسجد قنطرة من عقدان كبيران على شكل حدوة الفرس، تبلغ فتحتهما



(ISSN ٢٥٣٧-١٠٦١)(Print)

(ISSN ٢٥٣٧-١٠٧X)(Online)

٤,٠٤م وينتهيان من الجهة البحرية على استقامة الجانب البحري من بناء المنارة، والعقدان يربطهما ببعضهما سقف مستدير من الحجر مرفوع من طرفيه على أربع كتل مستطيلة من الحجر والبناء. وهي متخذة على هيئة أكتاف مسندة إلى جداري المسجد والمنارة وأصلها من أبنية أخرى. وكذلك أضاف لها النهاية التي تشبه المبخرة.

**١/٣/٢-٢-ج: الميضأة:** تتوسط الصحن ميضأة مرفوع عليها قبة على هيئة القباب المبنية فوق الأضرحة، وتحت القبة قصعة من رخام قطرها (٢,٣٠م)، وفي وسطها فوارة، وفى كل جانب من الجوانب الأربعة من البناء عقد كبير مبنى بالآجر المجلل بالجص، والأرض مفروشة بالرخام وأكثره ألواح طويلة شقت من عمد. وهي القبة الوحيدة في القاهرة المقامة فوق ميضأة، فالمعتاد في كثير من المساجد والمدارس كجامع السلطان حسن مثلًا هو وجود ميضأة عليها قبة أو سقيفة بسيطة على أعمدة من الرخام أو الحجر ذات قطاع مستدير مربع.

ومثبت بأعلى الزاوية الشمالية الشرقية من قاعدة القبة كتابة منقوشة في لوح من الخشب بخط النسخ نصها: "أمر بإنشاء هذه القبة المباركة والفسقية والساعات الشريفة مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاچين المنصوري في سنة ست وتسعين وستمائة. والمراد بالساعات هي المزولة التي تُتَّخَذ لإخراج ساعات النهار، ولقد عثرت الحملة الفرنسية على لوح من الرخام منقوش عليه مجموعة من الخطوط تحتوي في الوسط على أسماء الساعات ومنطقة البروج والاتجاهات مكتوبة بالقلم الكوفي المعروف بالفلكي، وفي الطرف سطر بالكوفي الدقيق يُقرأ منه: "أمر بعمل هذه الساعات بالجامع المعروف بأحمد بن طولون تغمده الله برحمته في سنة ٦٩٦".

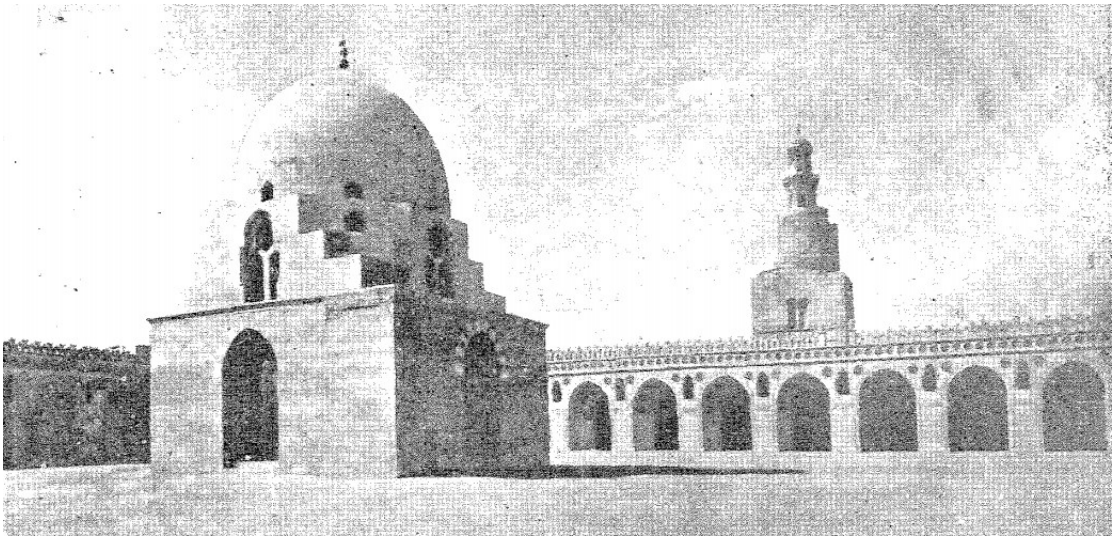

صورة (٤) قبة الميضأة وتظهر في الخلف المأذنة ونهايتها التي تشبه المبخرة وكلاهما من عمل لاچين – المصدر: مرجع٥، ص:٤٣

**١/٣/٢-٢-هـ: البوائك:** تختلف زخرفة واجهات البوائك المحيطة بالصحن من جوانبه الأربعة عن داخل الجامع بوجود عصابة مكونة من سرر من الجص تقوم مقام الإزار الخشبي والطراز الجصي المزينة بهما الجدران والقوائم داخل المسجد، وكل سرة موضوعة في طبق مثمن، وأغلبها محزوز حز غائر، وهي على شكلين متناوبين يختلف أحدهما عن الآخر اختلافًا طفيفًا، وتحت ذلك سرة كبيرة على يمين وشمال الطاقات الصغيرة، أكثرها موضوع في طبق مستدير متداخل والبعض بارز. وهذه السرر على الرغم من أنها من عمل لاچين إلا أنها كلها بسيطة وعلى بداءة، وهي منقولة عن أصل تنطبق عليه انطباقًا تاما؛ لأن العصور المتأخرة لم يتخلف منها شيء من هذا القبيل.



(ISSN ٢٥٣٧-١٠٦١)(Print)

(ISSN ٢٥٣٧-١٠٧X)(Online)

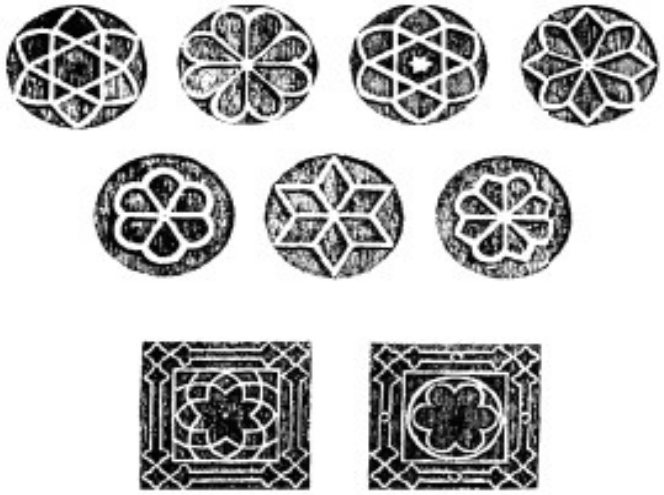

شكل (٣) نماذج من السرر المزخرفة بها وجهات الصحن- المصدر: مرجع:١٥، ص: ٤٦

**٢/٣/١-٢-و: الطاقات:** ترجع معظم الشبابيك الجصية المركبة على الطاقات إلى تجديدات لاچين في القرن الثالث عشر، ويؤيد ذلك أن زخرفتها هي نفس زخرفة ضريح قلاوون. وهي شبابيك مفرغة تتكون من تفريغاتها أشكال هندسية بسيطة، وهي على شكل الأقواس الكبيرة معقودة عقدًا ستينيًا مرفوعًا على عمودين قصيرين متخذين في نفس البناء، ويحيط بعقودهما طراز من الجص يعتدل ويأخذ اتجاهًا أفقيا عند مبادئها ليتصل ببعضه بين العقود كما في الأقواس الكبيرة وهي منظمة على نسق يجعل كل طاقة ثالثة واقعة على محور عقد.

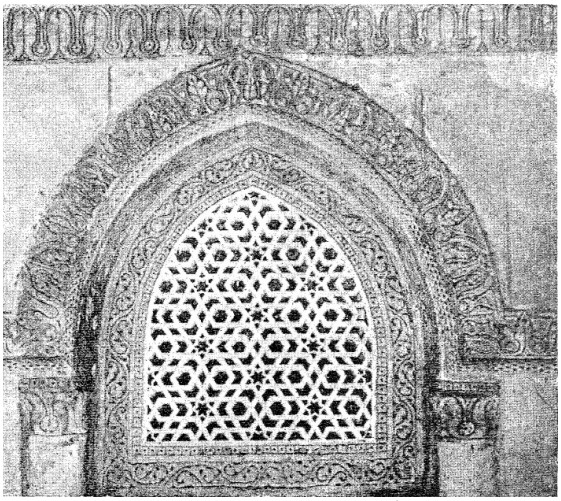

صورة (٥) شباك من عصر لاچين تتكون زخارفه الهندسية من مضلعات ونجوم مرجع:٥، ص:٢٥

صورة (٦) شباك من الجص من عمارة لاچين- المصدر: مرجع:١٦، ص: ١٠٤

**٢/٣/١-٢-ز: المنبر:** ومن إصلاحات لاچين أنه عمل للجامع منبرًا بعد أن نقل منه منبره القديم، ومنبر لاچين كان يحتوى في كل جانب على شكل هندسي دائري كبير في وسطه نجمة تحيط به ثمان حشوات كبيرة مثمنة تتبادل بين نجوم وأشكال عربية وعلى السلم وأسفله أنصاف من أربعة أشكال من الرسم نفسه، وهذه الحشوات متخذة من الساج الهندي التك والعظم والأبنوس، وقد تعرض المنبر للسرقة ونزعت منه بعض الحشوات، وقد اشترى منها متحف ڤكتوريا وألبرت ست حشوات مستطيلة من الخشب المنقوش، ومن بينها حشوتان منقوش عليهما بخط النسخ المملوكي بحروف صغيرة: "أمر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا



(ISSN ٢٥٣٧-١٠٦١)(Print)

(ISSN ٢٥٣٧-١٠٧X)(Online)

السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاچين المنصوري وذلك في العاشر من صفر من شهور سنة ست وتسعين وستمائة أحسن الله عاقبتها"، وعلى باب المنبر كتابة أخرى باسم لاچين في لوح آخر تشتمل على تاريخ إنشاء المنبر والنص واحد، ويؤخذ من هذا التاريخ أن لاچين بمجرد جلوسه على كرسي السلطنة شرع في الوفاء بنذره.[١٨](مرجع:٥،ص:٥٣)

شكل(٤) مجموعة من حشوات منبر لاچين بالجامع الطولوني- المصدر: مرجع:١٦، ص: ٦٨،١١١.

وعلى عهد السلطان لاچين أوقف شادى بن شيركوه على الجامع شمعدانًا من النحاس -محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامي-، مكتوب عليه بخط النسخ: "مما عمل برسم الجامع المعمور ببقاء سيد ملوك المسلمين مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين ابن عبد الله لاچين الذي تقرب إلى الله تعالى بعمارته، المعروف بابن طولون تقبل الله منه ذلك وأحسن اليه في الدنيا والآخرة وجعله في صحائف حسناته. تقرب بوقفيته على جامع ابن طولون في المحراب شادى العبد الفقير الى الله ابن شيركوه أثابه الله تعالى الكبير"

**٣/٣/١- جامع المؤيد شيخ المحمودي:**

يقع الجامع إلى يسار الداخل من باب زويلة بالسور الجنوبي لمدينة القاهرة، أنشأه السلطان الملك المؤيد أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهرى علي أنقاض سجن خزانة شمائل، وكانت سجنًا شنيعًا لمرتكبي الجرائم، سبق للمؤيد وقت أن أمير، فقاسي فيه عذاب وشدائد، فنذر لله تعالي إن تيسر له الخروج من هذا السجن وآل إليه الملك مصر أن يجعل هذه البقعة مسجدًا لله عز وجل، ومدرسة لأهل العلم، فلما نجاه الله من محنته وجلس علي كرسي السلطنة قام بشراء قيسارية سنقر الأشقر وأضاف إليها خزانة شمائل وعدة دور وحارات لإقامة هذا المسجد الذى استمرت عمارته ست سنوات ٨١٨-٨٢٤هـ/١٤١٥-١٤٢١م، وجاءت عمارته فى أحسن صورة.[١٨](مرجع:١٨،ص:١٨٧)

وصفه المقريزى بقوله: "هو الجامع لمحاسن البنيان الشاهد بفخامة أركانه وضخامة بنيانه، أن منشئه سيد ملوك الزمان. يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وإيوان كسرى، ويستصغر من تأمل بديع إسطوانه الخورنق وقصر غمدان، ويعجب من عرف أوليته من تبديل الأبدال وتنقل الأمور من حال إلى حال ... بينما هو سجن تزهق فيه النفوس ويضام المجهود، إذ صار مدارس آيات، وموضع عبادات ومحل سجود، فالله يعمره ببقاء منشئه ويعلي كلمة الإيمان بدوام ملك بانيه".

**٣/٣/١-١- مراحل الإنشاء والعمل بجامع المؤيد شيخ**

وفي رابع جمادى الآخرة كان ابتداء حفر الأساس، وفي خامس صفر سنة تسع عشرة وثمانمائة. وقع الشروع في البناء، واستقرّ فيه بضع وثلاثون بنّاء، ومائة فاعل، ووفيت لهم ولمباشريهم أجورهم من غير أن يكلف أحد في العمل فوق طاقته، ولا سخّر فيه أحد بالقهر، فاستمرّ العمل إلى يوم الخميس سابع عشر ربيع الأوّل، فأشهد عليه السلطان أنه وقف هذا مسجدا لله تعالى، ووقف عليه عدّة مواضع بديار مصر وبلاد الشام، وتردّد ركوب السلطان إلى هذه العمارة عدّة مرات.١٩(مرجع:٣٠) وألحق بالجامع خزانة كتب حُمل إليها كتبًا كثيرة في أنواع العلوم، كانت بقلعة الجبل.

وقد أطلق بعض المؤرخين على هذا الجامع اسم المسجد الحرام لأن السلطان المؤيد شيخ جمع الكثير من مستلزماته من عمائر أخرى عنوة علي غير رضا أصحابها، فقد أنفق المؤيد شيخ مبالغ طائلة على بناء وتأثيث المسجد، وعندما عجز عن تزويده بمواد غالية الثمن كان يستولى عليها من منشآت سابقة، وبالرغم من



(ISSN ٢٥٣٧-١٠٦١) (Print)

(ISSN ٢٥٣٧-١٠٧X) (Online)

قيامه بتحمل تكلفة نقلها، فإن ما قام به كان يعد مخالفا للقانون لأنه كان عند اكتمال المنشأة أو المجمع بناء وتأثيثاً فإنه يحظر نقل أي شيء فيه، ومع ذلك فقد دفع ٥٠٠ دينار ثمنا لمصابيح ومصراعين من الخشب المصفح بالبرونز والمكفت أخذها من مدرسة السلطان حسن في ١٧ شوال ٨١٩هـ/ ٨ ديسمبر ١٤١٦م.

وفي شعبان ٨١٩هـ/ سبتمبر ١٤١٦م أمر السلطان بجمع العمد وألواح الرخام من العمائر الخربة، فقام المشرفون على أعمال البناء بالاستيلاء على بعضها عنوة من الأهالي ومن بعض المساجد الأخرى، وقطعت الأحجار من جبل المقطم بعد أن جمع السلطان الحجارين وأمرهم بأن يقطعوا أحجار عجالية من موضع بالقرب من دار الضيافة، أما الوزرات الرخامية فمنقولة من جدار قبلة جامع قوصون ومن مساجد أخرى ومنازل. كما أنه فرض على أمرائه تولى دهان الجامع وكلف مباشر العمارة بتحمل نفقات أعمال الخشب.[٢٠](مرجع:٦، ص:١١٦)

صورة (٧) مدخل مدرسة المؤيد المنقول من السلطان حسن- المصدر: مرجع: ٢٨.

وفي يوم الجمعة ٢ جمادي الأولي ٨٢٠هـ/ ١٧ يوليو ١٤١٧م أقيمت الجمعة به ولم يكمل منه سوى رواق القبلة. وفى يوم السبت ٥ رمضان/ ١٦أكتوبر بدأ الشروع في إنشاء الميضأة واستمر العمل حتى كملت بعد ٢٥ يومًا، ووقع الشروع في بناء حوانيت على بابها من جهة تحت الربع يعلوها طباق.

وقد ذكر المقريزي أن النفقة علي عمارة الجامع حتى عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م قد زادت على سبعين ألف دينار، وقبل الانتهاء من عمارة الجامع سارع المؤيد إلى تعيين المدرسين للمذاهب الأربعة وللحديث وللقراءات السبع، وذلك في شهر جمادى الأولى ٨٢٢هـ/ مايو١٤١٩م.

وفى ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٢٣هـ/ ٤ يوليو ١٤٢٠م توفى إبراهيم ابن السلطان المؤيد فدفن بالقبة التي تشغل الزاوية الشمالية الشرقية من رواق القبلة، والتي أشارت إليها وثيقة الوقف تحت مسمى القبة الشرقية، كما توفى السلطان المؤيد شيخ في ٨ المحرم ٨٢٤هـ/ ١٣ يناير ١٤٢١م ودفن بنفس القبة مع أنها لم تكن عمرت بعد؛ فقد اكتملت في ذي القعدة ٨٢٤هـ/ نوفمبر ١٤٢١م، وكذلك عمل الدرج الذى يصعد منه إلى باب الجامع في رمضان ٨٢٤هـ، وظلت بقايا كثيرة من أجزاء هذا الجامع لم تعمل بعد موت السلطان منها القبة التي تشغل الزاوية الجنوبية الشرقية من رواق القبلة وتقابل القبة المدفون تحتها السلطان المؤيد، وكذا البيوت المعدة لسكن الصوفية.

**النتائج**

١. كان للنشأة والتعليم الديني للمماليك في صغرهم أثر كبير على حياتهم كسلاطين.
٢. تعددت الأسباب الدافعة للمماليك نحو التعمير وكانت النوازع الدينية ومنها النذر أحد تلك الدوافع.
٣. علي الرغم من حسن نوايا بعض السلاطين في إنشاء عمائرهم إلا أن بعضهم اتبع أساليب غير



(ISSN ٢٥٣٧-١٠٦١) (Print)

(ISSN ٢٥٣٧-١٠٧X) (Online)

شرعية في تنفيذها، كسلب ممتلكات أو منشآت الغير وسخرة العمال.

٤. اتبع بعض السلاطين في تجديدهم للعمائر القديمة نفس الأساليب الفنية والإنشائية القديمة المتبعة وقت إنشاء المباني الأصلية حفاظًا على النسق الفني العام للمبني.

**التوصيات**

١. يوصي البحث بأهمية عمل مزيد من الدراسات للوقوف على أسباب ودلالات المزيد من المباني في العصر المملوكي.

٢. يوصي البحث بضرورة عمل مزيد من الأبحاث لمعرفة هل كان للوفاء بالنذور دور في العمارة في باقي عصور العمارة الإسلامية في مصر.

**مراجع البحث**

**المراجع العربية:**


١. الباشا، حسن (١٩٩٠). **مدخل إلى الآثار الإسلامية**. القاهرة: دار النهضة العربية.

٢. ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر (١٩٨٦). **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣. أبو جليل، حمدي (٢٠١٣). **القاهرة جوامع وحكايات**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤. أحمد، عبد الرازق أحمد (٢٠٠٩). **العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي**. القاهرة: دار الفكر العربي.

٥. إسماعيل، كامل. **دراسات أثرية: مسجد أحمد بن طولون**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٦. بلا حدود، متحف (٢٠٠١). **الفن المملوكي عظمة وسحر السلاطين**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

٧. حمزة، هاني (٢٠١١). **مصر المملوكية (قراءة جديدة): الكتاب الأول**. القاهرة: دار العين للنشر.

٨. حمزة، هاني (٢٠١١). **مصر المملوكية (قراءة جديدة): الكتاب الثاني**. القاهرة: دار العين للنشر.

٩. سيد، أيمن فؤاد (٢٠١٩). **دولة سلاطين المماليك في مصر**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

١٠. الشريف، صفاء محمد عزت (٢٠١٤). **القبة في العصر المملوكي: دراسة وصفية تحليلية**. عمان: جامعة العلوم الإسلامية العالمية- كلية الدراسات العليا.

١١. شكري، إيمان عمر (٢٠٠٧). **مساجد وجوامع القاهرة في العصر المملوكي والعثماني**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٢. عبد العليم، فهمي (١٩٩٤). **جامع المؤيد شيخ**. القاهرة: مطبعة هيئة الآثار المصرية.

١٣. العربية، مجمع اللغة (٢٠٠٥). **المعجم الوسيط**. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

١٤. عكاشة، علياء (٢٠٠٨). العمارة **الإسلامية في مصر**. الجيزة: بردي للنشر.

١٥. عكوش، محمود (٢٠٢٢). **تاريخ ووصف الجامع الطولوني**. القاهرة: مؤسسة هنداوي.

١٦. عيسى، أحمد (٢٠١١). **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**. القاهرة: مؤسسة هنداوي.

١٧. الغيطاني، جمال (٢٠٠٧). **استعادة المسافر خانة: محاولة للبناء من الذاكرة**. القاهرة: دار الشروق.

١٨. فرغلي، أبو الحمد محمود (١٩٩١). **الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

١٩. فكري، وليد (٢٠٢٠). **الجريمة العثمانية: الوقائع الصادمة لأربعة قرون من الاحتلال**. القاهرة: الرواق للنشر والتوزيع.

٢٠. مأمون، جيهان (٢٠١٢). **من سيرة المماليك**. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢١. المشد، آية عبدالله، علي، عماد علي حسني، عبدالحفيظ، ماهر على. (٢٠١٩). **التشكيل المعماري للمساجد بين الأصالة والمعاصرة**. مجلة الفنون والعلوم التطبيقية، مج ٦ع ١٢٢ - ١٠٥، ٢.

٢٢. المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد (٢٠١٣). **أطلس تاريخ العصر المملوكي**. الرياض: العبيكان للنشر.

٢٣. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (٢٠٠٧). **السلوك لمعرفة دول الملوك**. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.


**المراجع الإنجليزية:**


٢٤. Abouseif, Doris Behrens (١٩٩٣). **Islamic Architecture in Cairo: An Introduction.** Cairo: American University in Cairo Press.

٢٥. D'Avennes, Émile Prisse (٢٠٠٨). **Islamic Art in Cairo: From the Seventh to the Eighteenth Centuries.** Cairo: American University in Cairo Press.

٢٦. Shaheen ،A. (٢٠١٦). **Amending the Chronological Order of some Cairene Monuments from the Circassian Mamluk Period** مجلة الفنون والعلوم التطبيقية، مج ٣ع ٢٦. - ١١، ١

٢٧. Yeomans, Richard (٢٠٠٦). **The Art and Architecture of Islamic Cairo**. Berkshire: Garnet Publishing.


**مواقع الانترنت:**

٢٨. https://www.archnet.org/search?search_token=eyJhbGciOiJIUzI١NiIsInR٥cCI٦IkpXVCJ٩.eyJxdWVyeSI٦ImlibiB٠dWx١biIsInBhZ٢UiOjEsInJhbmdlIjp٧InRpbWVfcGVyaW٩kIjp٧fSwieWVhciI٦e٣١٩LCJpYXQiOjE٢OTIyMjIxODZ٩.UN_LFaw٨cRZ٠tbU٤AvW٩PPq٥sk٣١FAlrrqf٦WYGWdGA (Accessed: ٢٧-٨-٢٠٢٣)
٢٩. https://islamic.cultnat.org/Object?ID=٢١٩&Src=Mon (Accessed: ١٦-٨-٢٠٢٣)
٣٠. https://shamela.ws/book/١١٥٦٦ (Accessed: ١٨-٨-٢٠٢٣)
٣١. https://islamicart.museumwnf.org/database_item.php?id=monument;ISL;eg;Mon٠١;١٥;ar (Accessed: ١٩-٨-٢٠٢٣)
٣٢. https://www.meisterdrucke.uk/fine-art-prints/Adrien-Dauzats/١٠٩٦٨٩/Interior-of-the-Mosque-of-El-Mooristan-in-Cairo-.html(Accessed: ٢١-٨-٢٠٢٣)
٣٣. https://dorar.net/feqhia/٥٧٨١/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥٪D٨٪A٨٪D٨٪AD%D٨%AB-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٣٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨٤-%D٨٪AA%D٨٪B٩٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٩٪٨١-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٦٪D٨٪B٠٪D٨٪B١(Accessed: ٢٦-٨-٢٠٢٣)

**Abstract**

Mamluk era is one of the best eras of Islamic architecture in Egypt. Despite the development of Islamic architecture in all ages, the development of Mamluk architecture was a milestone in Islamic architecture. The causes and purposes of each sultan varied in the buildings of his era, ranging from social, administrative, educational and other goals.

The problem of the research is represented in the following question: What is the role of fulfilling vows as one of the motivations for the Mamluk sultans to establish architectural structures? Therefore, the research aims to determine the role of fulfilling vows as one of the motivations for the Mamluk sultans to create buildings, and to highlight the types and functions of those buildings. The main axes of the research are: First: A functional classification of the buildings that were built as a result of fulfilling vows. Second: Analysis the functional components of each building. Third: Determine the era of construction of each building. Fourth: Analysis the elements of architectural formation. Fifth: Analysis the elements of decorative formation. Sixth: Comparing these elements with the features of this era.

The importance of the research, is the study and analysis some Mamluk buildings to determine the motives for their establishments and to monitor some buildings that fulfilled the vow that motivated their construction Using the historical approach to find out the reasons for building some Mamluk buildings in Egypt, and the descriptive analytical approach to describe and analyze the aesthetic features and distinctive values of architectural elements.



(ISSN ٢٥٣٧-١٠٦١) (Print)

(ISSN ٢٥٣٧-١٠٧X) (Online)